

آل الأُمِين... جددوا ويُجددون

رشيد الخيون

باحث عراقي

r.alkhayoun@hotmail.com



ولاية الفقيه من علم السياسة لا علم الدين، وليس لأحد الحق في نيابة الإمام الثاني عشر

الذي عُزل بموجه من القضاء، وهو أن الطائفة الشيعية بלבان لا تُحصر بحزب أو قائد، وعلى الخصوص في الشأن السياسي، إنما لها اختلافاتها، فعلى حد فهمي للتصريح أن الشيعة إزاء وطن وسياسة ومصالحة، وهم طائفة في وطن لا وطن في طائفة.

السيد الأُمِين لا يرى في الإمامة أصلاً يُخرج من لا يؤمن بها من الإسلام، وأن ولاية الفقيه من علم السياسة لا علم الدين، وليس لأحد كائن من كان الحق بنيابة الإمام الثاني عشر المعصوم، على اعتقاد أنه (غاب 260 هـ). وتجده يركز على محاولة إزالة مخاوف الشيعة من الذوبان في حالة التقريب بين المذاهب، التي سعى إليها من قبل بقوة المرجع الإيراني السيد البروجردي (ت 1961)، والمرجع العراقي كاشف الغطاء.

من باب آخر، وعلى ما يبدو كان وقعه خطيراً على خصومه، هو ذهابه إلى تخطئة المجتهد، والرجل لا يعترض على العصمة كعقيدة، لكنه يراها مشكلة إذا تعدت إلى الفقهاء في نيابة الإمام، وهذا هو المفهوم عند العامة أو المُقلِّدين، وهي محنة عقلية إذا قُلد المجتهد في الصغيرة والكبيرة، مثلما حصل في الانتخابات العراقية (2004 و2005)، أو الرجوع إلى المجتهد بقضايا خارج العبادة أو الشأن الديني، فهذا يكون خارج قدرة المرجع الإنسان.

كذلك يعتقد السيد الأُمِين أن المشروع السياسي لدى الأئمة ثانوي لا رئيسي، وانتهى بالحسين بن علي (قُتل 61 هـ)، بل مشروعهم هو "مشروع هداية الخلق، ولم يكن مشروع السلطة السياسية أساسياً في دعوة الهداية والإرشاد" (الأحزاب الدينية)، وتراه يستند إلى تراث الأئمة، وله في كلمة أبيهم علي بن أبي طالب (اغتيال 40 هـ): "لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، وإن لم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة" (نهج البلاغة) دليل ساطع.

تلك قطرات من بحر أسندها صاحبها إلى أصول المذهب وأساسيات الدين ومصالح الناس، وما هي عجلة التطور متسارعة، فوجب على الأُمِين توضيح الطريق لأبناء مذهبه، وهو واجبه الشرعي، كونه عالم دين قبل كل شيء.

(اغتيال 1979) في أربع مقالات نشرت تباعاً على صفحات "الاتحاد".

جدد آل الأُمِين بشخص محسن الأُمِين بدمشق وجبل عامل، ولعل كتاب "حركة الإصلاح الشيعي" للباحثة الفرنسية صابرينا ميرفان يفني عن المقال، فقد سلطت الضوء بأكاديمية صارمة على دور علماء جبل عامل وآل الأُمِين في الطليعة، وما واجهوه من تعنت المعارضين.

لا أحصر اجتهاد وتجديد آل الأُمِين الآني بالسيد علي الأُمِين، فلآخرين أدوارهم أيضاً، لكنني صيبت إطلاعي على ما كتبه السيد علي في "ولاية الدولة وولاية الفقيه"، و"الأحزاب الدينية"، و"رسالة في تخطئة المجتهد وتصويبه"، وسواها من الكتيبات التنويرية الصادرة عن دار "مدارك". لكن لئسما من، وبطلاقة لسانه، تأثيراً آخر.

ما شعرته في جهد السيد علي أنه مشغول بأمر طائفته ووطنه في الوقت نفسه، وقد عُزل عن قضاء الفقه الشيعي بصور، وتحول إلى سجين محاصر ببلده بسبب ما عبر عنه من رأي، في شتاء العام 2008، وكنت آنذاك ببيروت أيضاً وسمعت المقابلة أو التصريح

بالفعل هناك سعي دؤوب لعزل الشيعي عن محيطه الوطني، وحجره بروابط خارج الأوطان، تلك التي حُدّر منها الشيخ شمس الدين (ت 2001) في "الوصايا".

وما نافع به قبله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954) حتى قال خشية: "إن في صدري لعلماً جماً أخشى أن أبوح به من الشياطين الذين يوجهون العوام وفق مقاصدهم" (الخاقاني، شعراء الغري).

وما في ذلك الصدر كشف عنه السيد الأُمِين بفكر وحجة، وبما تفرد به من اجتهاد وجرأة وهو المحفوف بالمخاطر. أو قول كاشف الغطاء الذروة في إنسانيته: "بنو آدم إنا جميعاً بنو أب.. لحفظ التآخي بيننا وبنو أم.. عهدتكم شتى الحزازات بينكم.. وما بينكم غير التضارب بالوهم" (نفسه).

يُذكر أن باع شيخ الطائفة الطوسي (ت 460 هـ) في العلم جعل خلفاءه لا يقوون على الاجتهاد بعده، حتى جاءت حوزة الحلة، وسط العراق، وما حل فيها من العلماء، وكان أبرزهم سبطه بن إدريس (ت 598 هـ) فكسر الحاجز، وتيسر الاجتهاد من جديد (النجفي، ثورة التنزيه). وحينها ثار كارهو الاجتهاد ضده، حتى نعت بالمخلط (نفسه).

مثله ابتلي السيد محسن الأُمِين (ت 1952) فطعن بأعلميته عندما اجتهد بما يخالف الذين أرادوا أسر الأتباع بالحرز والانكسار الزمنيين، وممارسة ما لا يتفق مع العصر، وكان ذلك مستهل القرن الماضي، فكيف الحال والزمن قد تعدى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين!

كنا قد تبسطنا في موقف السيد محسن وهبة الدين الشهرستاني (1967) ومظهري

ما من مذهب فقهي أو فكري يستغني عن التجديد، لأنه مع تقدم الحياة الهائل يصعب الثبات على ما قبل ألف عام ويزيد. لا نتحدث عن العبادات بالنسبة للمذاهب الفقهية، فهي لا تجديد فيها إلا بحدود ما يتماشى مع روح العصر، ونجد في فقه المغتربين لأكثر من مجتهد ما يمكن توصيفه بالتجديد، فيما يتعلق بالسفر والاختلاط وسواهما.

لكننا نتحدث عما ثبت في الأذهان من ممارسات ورؤى سياسية حجت مدرسة آل البيت وحصرتها في زاوية معتمة وهي الرحبة الأفاق.

بعد إطلاعي على ما أستفتي به عدد من علماء المذهب ضد آراء المجتهد اللبناني السيد علي الأُمِين، وكأنه غاليليو (ت 1642) عصره، دفعني إلى زيارته ببيروت، في الشهر الماضي، وكنت على معرفة مسبقة به. فقد أفتى المرجع الباكستاني الشيخ بشير النجفي من دون مناظرته قائلاً: "اجتنبوا هذا الرجل ما دام ماشياً على الطريق الذي عُرف به من مساندة أعداء أهل البيت!"

وأفتى المرجع الإيراني الشيخ محمد الشاهرودي قائلاً: "الشخص الذي يحمل هذه الاعتقادات لا يُحسب من الطائفة الشيعية...!" وغيرها العديد من الفتاوى التي أطلقت ضد الأُمِين من دون مفاتنته.

طال اللقاء لساعات مع الأُمِين وسمعت منه الكثير، أفضى بألمه من محاولات عزل الفكر الشيعي وحصره بالماضي وبالمنظومة، وتحجيمه بالحرز والانكسار، حتى صرح الكثيرون بأن الوجود الشيعي بات مرتبطاً بصدى الماضي، وكأن التماذي بإيذاء الذات هو الهوية الفارقة للشيعي!